الآراء الواردة في الصفحة تعبر عن وجهات نظر كتابها ، وقد لا تتفق بالضرورة مع وجهة نظر الجريدة

أين الأمل يا حكومة العراق ؟

فيصل عبد الحسن
كاتب وصحافي

في اللحظات التاريخية من الزمن تختار الشعوب طرقا وحلولا غير اعتيادية لتجاوز المحن التي تمر بها وكذلك تختار رجالا ليقودوها نحو الأمل والنجاة من مخاطر التشتت والاضمحلال، فالتأريخ يذكر يوشيدا رئيس وزراء اليابان بعد الحرب العالمية الثانية، الذي قاد بلاده من اليأس إلى القوة الاقتصادية العظمى في العالم وجعل شعار اليابانيين في تلك الأيام العصيبة (قلد ثم قلد وبعد ذلك ستقلد) وهذا ما صار فصارت الصناعات اليابانية في السبعينيات من القرن الماضي وحتى الآن تقلد في هونغ كونك وفي تايوان وفي كثير من بلدان مسماة بنمور اسيا.

لقد اعتمدت خطة يوشيدا لاستنهاض همم اليابانيين في ذلك الوقت العصيب على مبادئ بسيطة ولكنها في غاية الأهمية للملمة الصف وتوجيه القدرات في الطريق الصواب، فهو طالب أولا أن يكون الخطاب الديني في اليابان باعثا للهمم وليس لتغييب العقل، وطلب من رجال الدين في اليابان لكي لا تضيع اليابان إلى الأبد في الفوضى والتهميش والتخلف أن يسعوا إلى توحيد كلمتهم الموجهة إلى أبناء الشعب الياباني ويكون مرادفها السامي، علينا أن نعمل لبناء ما خربته الحرب لأجل غد أفضل لأولادنا، الله تعالى في سمائه يأمرنا بهذا وعلينا أن لا نتقاعس في تنفيذ أرادة الله تعالى الذي يحب لنا الخير، فهب أولئك الذين أتمنوا على الخطاب الديني كلسان واحد لتوصيل هذه الرسالة للشعب الياباني الذي تعرض لأسوأ هزيمة في التأريخ فهو الشعب الوحيد الذي قهرت أرادته أثناء الحرب العالمية الثانية بالقنابل الذرية وخلفت الضربات هزيمة نفسية ومادية رهيبة على المواطن الياباني لم يعرف أحد قبل (يوشيدا) كيفية الخلاص من قيودها النفسية المدمرة، ثم ركز (يوشيدا) في طلبه الثاني من شعبه، على أن المرأة اليابانية هي نصف المجتمع وكذلك فأنها ستلد أيضا النصف الأخر فلا ينبغي أن تكون معطلة، وجعل في خطط البناء والصناعة والاقتصاد دورا مهما لها ولتأهيلها لتتبوأ دورها في بناء الحياة، ثم ركز في طلبه الثالث على المشاركة السياسية من قبل جميع اليابانيين رجالا ونساء لترصين الديمقراطية وجعلها أكثر حيوية مما هي عليه في الغرب وأمريكا أما ما ركز عليه في الطلب الرابع هو التركيز على التعليم بكل مفاصله لكي لا تكون هناك فجوة رقمية في أعداد المتعلمين وغير المتعلمين مما لا يمكن معها الردم أو التصويب وإنجاح خطة البناء الشامل، وعلى هذه النقاط الأربع مضت اليابان إلى الأمام من نجاح إلى آخر، ولنا في العراق رجال لا نقول أنهم أفضل من يوشيدا ولكننا نقول أنهم متعلمون وقد أطلع البعض منهم على خبرات الآخرين ولديهم الحس الوطني ولكن ينقص بعضهم سمو الفكرة في نقل العراقيين من حال إلى حال أفضل وزراعة الأمل في نفوسهم.

أين رجال الدين (المؤمنون) الذين يزرعون في نفوس الناس خطابا دينيا باعثا للهمم الساعي لعمارة الأرض وبناء البلد وليس لتغييب العقل والتناحر الطائفي؟ أين المرأة التي همشت طويلا؟ فنحن لا نراها إلا لاطمة باكية متشحة بالسواد، أين التعليم بكل فروعه النظرية والعملية؟أين المشاركة السياسية الحقيقية وليس العشائرية أو الطائفية؟ أخيرا أين الأمل يا حكومة العراق ؟

العلامة مرتضى العسكري.. مسيرة حافلة بالعطاء والجهاد

د. صلاح عبد الرزاق
باحث اسلامي

(إذا مات العالِم ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدها شيء إلى يوم القيامة)..

توفي إلى رحمة الله العالم الجليل المحقق والمؤرخ البارع آية الله السيد مرتضى العسكري عن عمر يناهز المائة عام قضاها بالفكر والجهاد والعمل. يعد السيد العسكري من العلماء الأجلاء الذين احتلوا مكانة رفيعة في شتى ميادين العلم والمعرفة والتاريخ والتفسير والعقائد، إضافة إلى سجل حافل بالانجازات العلمية والتربوية والسياسية.

كان رحمه الله مثالاً للإنفتاح الفكري الملتزم والدقة العلمية التي حافظت على موضوعيتها بشكل قل نظيره. كما كان رائداً للوحدة الإسلامية عندما دعا التفكير العلمي والحيادي للتراث الإسلامي ونادى (مفكري العالم الاسلامي وعلمائه وكتابه، والمصلحين الساعين لتوحيد كلمة المسلمين إلى القيام بدراسة موضوعية لما ورثه المسلمون من مصادر سنة الرسول (ص)، سيرة وحديثاً، وعدم البقاء على تقليد السلف الصالح في استنباط الأحكام الشرعية ولا في دراية الحديث. وبذلك يتحقق الوصول إلى معرفة الإسلام من الكتاب والسنة، ويتيسر توحيد كلمة المسلمين حولهما للقيام بتجديد حياة إسلامية).

نشأته ودراسته

ولد السيد مرتضى بن السيد اسماعيل العسكري في جمادى الثانية عام ١٣٣٢ هجري الموافق ١٩١٤ في مدينة سامراء. وكانت هذه المدينة حاضرة علمية تزدهر بالمدارس الدينية والحوزة العلمية والمرجعية الرشيدة بزعامة الميرزا الشيرازي صاحب ثورة التنباك عام ١٨٩٢, وكانت أسرته تسكن في سامراء. درس العلوم الدينية عندما كان في سن العاشرة. وكان يحب القراءة وخاصة كتب السيرة والصحابة وتاريخ صدر الإسلام، وكذلك كتب الرحلات (كرحلة ابن جبير وابن بطوطة ورحلات الغربيين إلى الشرق الإسلامي). وكان منهمكاً في مطالعة الكتب والمخطوطات التي تقع تحت يديه، وكان مصدره مكتبة جده حيث يقرأ الكتب حتى في الليل، بل ربما لا ينام لشغفه بالكتاب. درس السيد العسكري في الحوزة العلمية في سامراء، حيث قرأ جامع المقدمات في سن العاشرة، ثم الكتب العلمية واللغوية والفقهية والأصولية المتداولة آنذاك. وكان رفيقه في الدراسة الشيخ مرتضى الحائري.

عاش العسكري عمره المديد في العراق معتمداً على ما تدره أملاك والده في إيران. وعندما قرر رضا شاه قطع الأموال الذاهبة إلى العراق، اضطر السيد العسكري عام ١٩٣١ إلى التوجه إلى الحوزة العلمية في قم المقدسة لإكمال دراسته، وكان آية الله الشيخ عبد الكريم الحائري هو المرجع الأعلى. سكن في المدرسة الفيضية وحضر دروس السطوح العالية لدى السيد المرعشي والشيخ محمد حسين شريعتمدار.

نشاطاته العلمية

التقى العسكري بمجموعة زملاء في الدراسة من بينهم آية الله محمود الطالقاني، واتفقو على تأسيس مشروع جديد لدراسة وتعليم (التفسير وعلوم القرآن) و(الأحاديث غير الفقهية) و (بحوث العقائد) في الحوزة. كان هذا المشروع التجديدي غريباً على أجواء الحوزة العلمية، فلقي معارضة شديدة من قبل مدير الحوزة الحاج مهدي ميرزا. شعر العسكري بعدم الارتياح لهذا الموقف، فعاد إلى سامراء مرة أخرى عام ١٩٤٣، حيث درس كتاب (الكفاية) لدى الحاج حبيب الله الاشتهاردي المعروف بالمدرس العسكري. وفي سامراء حيث التعايش العريق بين السنة والشيعة تفتق ذهن العسكري على أهمية الكتابة في السيرة، سيرة تجمع بين السني والشيعي. ولم يدر بخلده آنذاك أنه سيعيد كتابة التاريخ، لكنه أراد أن يكتب سيرة تكون مستدركاً لكتاب (وسائل الشيعة في تحصيل علوم الشريعة) مع الاستعانة بالروايات السنية.

في عام ١٩٤٤ قام العسكري بتأسيس أول مدرسة حديثة في مدينة الكاظمية، تدرس فيها مناهج تعليمية دينية والتاريخ الإسلامي بشكل جديد. وكان قد وجد عدم دقة الكتب التاريخية، فأرسل رسالة إلى العلامة السيد محسن الأمين العاملي يطلب منه مجموعة كاملة عن سيرة المعصومين الأربعة عشر، فأرسل إليه كتاباً تقليدياً يتحدث عن الولادة والنسب والأولاد وأسماء التلامذة وغيرها. هذه المعلومات لم تشبع توجهه لأنها كانت خالية من البعد الفكري الذي امتاز به الأئمة عليهم السلام.

أثناء الحرب العالمية الثانية انتقل إلى بغداد عام ١٩٤٤، فأسس المدرسة الجديدة، وكان ينوي تأسيس كلية إسلامية أو حوزة عصرية لكنه توقف بسبب الاعتراضات التي واجهته من الآخرين. عام مرة أخرى إلى سامراء، وعكف على الدراسات الفقهية. وبهدف تحقيق مشروعه زار قم المقدسة والتقى بالمرجع الأعلى السيد البروجردي، وطرح عليه مشروع تأسيس مدرسة علوم دينية بالشكل الذي كان يبتغيه، وأن يشرف عليها بنفسه، فوافق على ذلك. في تلك الفترة حدثت أحداث سياسية في ايران منها وصول الدكتور مصدق إلى الحكم وقيامه بتأميم النفط عام ١٩٥١، فاضطر العسكري على العودة إلى العراق.

كانت بغداد في تلك الفترة تموج بالتيارات الفكرية والسياسية : القومية والاشتراكية والشيوعية والعلمانية الغربية، والليبرالية والسنية والسلفية والصوفية. كما كانت تشكل بؤرة للمراكز الجامعية والإعلامية للعراق. وكان السيد العسكري يستشعر الخطر الذي يتهدد البناء الإسلامي وخاصة ما يتعرض له الجيل المسلم من شبهات وتشكيكات، لذلك بادر إلى تحصين المجتمع وخاصة الشباب والفتيان من الوقوع في شراك الأفكار الضالة. ولم تكن الظروف السياسية مؤاتية في تلك الفترة، ففي ١٤ تموز ١٩٥٨ سقط النظام الملكي وتأسس نظام جمهوري بزعامة عبد الكريم قاسم. وبعد خمس سنوات من الاضطرابات والمؤامرات سقط الزعيم بانقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ بزعامة عبد السلام عارف وصعود البعثيين للسلطة عندما ترأس الحكومة أحمد حسن البكر. ولم تمض سوى تسعة أشهر حتى حدث انقلاب ١٨ تشرين الأول ١٩٦٣ الذي أطاح بالبعثيين بعد أن مارسوا أبشع الجرائم ضد الشعب العراقي من خلال عصابات الحرس القومي. وبعد سنتين أي في عام ١٩٦٥ لقي عبد السلام عارف مصرعه في حادث طائرة جنوب العراق، وتولي السلطة أخوه عبد الرحمن عارف. ولم يستمر الأخير سوى ثلاث سنوات حتى أطاح به حزب البعث في ١٧ تموز ١٩٦٨,

بدأ العسكري بمشاريع نهضوية إصلاحية شملت البناء التعليمي والأكاديمي لبناء جيل إسلامي واعٍ من خلال مدارس الإمام الجواد (ع) الابتدائية والثانوية (نهارية ومسائية)، مدارس الإمام الباقر (ع)، مدارس الإمام الكاظم (ع) ومدرسة الزهراء (ع) للبنات. وقد كان الشهيد السيد محمد باقر الصدر أحد طلاب مدارس الكاظم (ع) عندما كان العسكري يشرف على إدارتها. هذا إضافة إلى كلية أصول الدين التي خرجت المئات من المثقفين الرساليين والكوادر العلمية والتدريسية. يذكر أن رئيس الوزراء السيد نوري المالكي أحد خريجي هذه الكلية العريقة.

من جانب آخر شارك العسكري في تأسيس أول حزب إسلامي حركي في العراق هو حزب الدعوة الإسلامية عام ١٩٥٧, وكان يحمل أفكاراً لإنشاء تنظيم إسلامي واعٍ، حتى جاءه السيد مهدي الحكيم وبتكليف من السيد محمد باقر الصدر ففاتحه بتأسيس حزب. سافر العسكري إلى النجف حيث انضم إلى اجتماع حضره السيد محمد باقر الصدر والسيد مهدي الحكيم والسيد محمد باقر الحكيم (رحمة الله عليهم أجمعين). ثم قام العسكري بدعوة من يثق بهم مثل محمد هادي السبيتي ومحمد صادق القاموسي وصالح الأديب، ودعا السيد مهدي الحكيم الحاج عبد الصاحب دخيل.

بدأ نظام البعث بالتخطيط للتخلص من تأثير المرجعية الدينية التي كان يتولاها الإمام السيد محسن الحكيم. فقام النظام باتهام ولده السيد مهدي الحكيم بالتجسس لمصلحة دولة أجنبية، فاضطر السيد مهدي لمغادرة العراق. وبسبب علاقة السيد العسكري الوثيقة مع السيد مهدي الحكيم، قامت السلطات بمداهمة داره، فاضطر العسكري إلى الخروج من العراق متوجهاً إلى بيروت. ونجا العسكري من الاعتقال لكن الجيش العراقي اعتقل أسرته عند الحدود الأردنية. وكانت عناصر النظام البعثي تخطط لاغتياله في بيروت، لكنه واصل عمله وجهاده.

جمعية الصندوق الخيري الإسلامي

تأسست الجمعية عام ١٩٤٧ من قبل العلامة المصلح السيد هبة الدين الشهرستاني. وضمت ثلة من رجال الخير والبر وهم : توفيق الروماني، عبد الهادي الجلبي، عبد الغني الدهوي، السيد باقر الحسني، عبد العزيز البغدادي والشيخ كاظم آل نوح. وخلال عشر سنوات من مسيرتها، قامت الجمعية بتأسيس عدة مشاريع إنسانية وخيرية وتربوية وعلمية. وعندما أراد السيد مرتضى العسكري تأسيس جمعية خيرية تتولى الإشراف على مشاريع جديدة، رفضت الحكومة طلبه، فتوجه إلى إحياء (جمعية الصندوق الخيري الإسلامي). وكان العسكري قد استقر في بغداد، وبدعم من الإمام السيد محسن الحكيم - الذي منحه وكالة عنه في بغداد- قام العسكري بتأسيس مراكز إسلامية ومدارس دينية ومدارس أكاديمية للبنين والبنات من المرحلة الابتدائية وحتى الثانوية. كما أسس مراكز التعليم المهني للذكور والإناث والمستوصفات وصناديق القروض الخيرية والمكتبات في بغداد وبعض المدن العراقية كالبصرة والحلة والديوانية والنعمانية. كما قام بإنشاء كلية أصول الدين عام ١٩٦٤ في منطقة الكرادة الشرقية ببغداد.

وأصدر مجلة (رسالة الإسلام) ومجلة (المجتمع الإسلامي) اللتين كانتا مصدر إشعاع علمي وثقافي، وساهمتا بشكل مؤثر في حركة الوعي الإسلامي آنذاك. كما اعتلى منبر الخطابة في نفس المنطقة يلقي دروساً في الحديث والتفسير والتاريخ الإسلامي والعقيدة، تلقاها الشباب والمثقفين والجامعيين باستقبال شديد. كما استطاعت الجمعية أن تجذب عشرات من الذين ساهموا في مشاريعها، من أعلام المجتمع العراقي أمثال السيد مهدي الحكيم، داود سلمان العطار، عبد الباري آل مباركة، فرحان عبد الكريم الغبان، نوري جعفر، صادق الخليلي، محمد عبد الساعدي والحاج عبد الصاحب دخيل.

وبعد وصول البعث للسلطة عام ١٩٦٨ تعرض أكثر أعضائها للملاحقة والاعتقال والقتل. وبعد سقوط النظام عاد السيد العسكري إلى العراق، وقام بتشكيل هيئة تحضيرية تولت إجراء انتخابات لجنة إدارية جديدة ضمت نخبة من الأكاديميين والوجهاء والمحامين والقضاة والمثقفين والعلماء، لتتولى إعادة افتتاح كلية أصول الدين والمدارس الثانوية وبقية المشاريع التي صادرها حكم البعث البائد.

مؤلفاته

تنوعت مصنفات العسكري في مجالات عديدة : في التاريخ والتفسير والعقائد المقارنة منها:

١- خمسون ومائة صحابي مختلق (ثلاثة مجلدات)
٢- أحاديث أم المؤمنين عائشة (أربعة أجزاء)
٣- عبد الله بن سبأ وأحاديث أخرى (مجلدان)
٤- معالم المدرستين (ثلاثة مجلدات)
٥- القرآن الكريم وروايات المدرستين (ثلاثة مجلدات)
٦- عقائد الإسلام من القرآن الكريم (ثلاثة مجلدات)
٧- قيام الأئمة بإحياء الدين (١٤ مجلداً)
٨- دور الأئمة في إحياء السنة.
٩- مقدمة كتاب (مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول) (مجلدان)
١٠- مصطلحات إسلامية.
١١- على مائدة الكتاب والسنة (١٩ مجلداً)
١٢- مع أبي الفتوح التليدي في كتابه (الأنوار الباهرة)
١٣- مع الدكتور علي الوردي في كتابه (وعاظ السلاطين)
١٤- آراء وأصداء حول عبدالله بن سبأ وروايات سيف بن عمر
١٥- طب الرضا (ع) وطب الصادق (ع)
١٦- بحوث أخرى في الفقه والعقائد مثل (السجود على التربة، البكاء على الميت، زيارة قبور الأنبياء والأئمة والصلحاء، التوسل بالنبي (ص) والتبرك بآثاره، الصلوات على محمد (ص) وآله، يكون لهذه الأمة إثنا عشر قيماً، عصمة الأنبياء، البناء على قبور الأنبياء والأولياء، الشفاعة، البداء، الجبر والتفويض والقضاء والقدر، المتعة أو الزواج المؤقت، حديث الكساء من طرق الفريقين، تعليم الصلاة، المصحف في روايات الفريقين، صفات الله في روايات الفريقين، آية التطهير في مصادر الفريقين).

ظاهرة القرصنة في المياه الاقليمية العراقية

د. عماد علو
باحث

المقدمة

تُعرّف القرصنة عادةً بأنها الجرائم أو الأعمال العدائية، والسلب أو العنف المرتكبان في البحر ضد سفينة ما، أو طاقمها، أو حمولتها، وهي بذلك تشكل احد اوجه الاعمال والفعاليات الارهابية التي تفاقمت مؤخرا وبشكل ملفت للنظر في المياه الاقليمية العراقية وهي ظاهرة جديدة وغريبة تزامنت مع التردي العام في الوضع الامني العراقي في اعقاب الاحتلال الامريكي والبريطاني للعراق في نيسان,٢٠٠٣ وتبدو القرصنة في الوقت الحاضر هي التهديد الرئيس في المياه الاقليمية العراقية، الامر الذي لا يمكن معه أن نقف موقف اللامبالاة من هذا التهديد، الذي بات يعتبر وجها من اوجه الإرهاب البحري، وهو ظاهرة أحدث عهداً من القرصنة وعليه فان القاء الضوء عليها لابد من ان ينصب لمصلحة الجهود المبذولة لعودة الامن الى العراق عامة ومياهه الاقليمية خاصة.

تاريخ القرصنة

ظهرت القرصنة في البحر المتوسط منذ الألف الثالث قبل الميلاد، وذلك مع ظهور وازدهار نمو التجارة البحرية بين مصر ودولة الاغريق القدماء وفينقيا. وكانت القرصنة بشكل مجموعات من البحارة تعيش على سواحل جزر البحر المتوسط، وتهاجم السفن المنفردة والموانئ ذات الدفاعات الضعيفة. وعلى الرغم من المصادر التاريخية المتفرقة والمتناثرة حول هذا الموضوع، فما من شكّ في أن القرصنة طوال العصور القديمة، برزت بشكل مستمر في البحار التي كانت تطل على سواحلها المدن المزدهرة مثل صور وقرطاجنة وكورنته (في اليونان) وأثينا، والتي كانت ذات أساطيل وتجارة بحرية غنية، وكان لابدّ من القضاء على تلك الجماعات الخارجة على القانون من عصابات القراصنة والأعداء. ومن أجل ذلك، ظهرت الأساطيل البحرية الحربية، غير أن النتائج ظلّت دون المستوى المطلوب وتناسبت طرديا مع قوة الدول والامبراطوريات التي سيطرت وتسيدت بحار العالم القديم.

وفي العصور الوسطى كانت هناك قلة من العرب . ولعلهم من مولدي الأندلس أو مستعربيها احترفوا القرصنة، وكان هؤلاء القراصنة أكثر ما يتعرضون للسفن التي تتردد بالبضائع بين فرنسا وإيطاليا من جهة مصر والشام وآسيا الصغرى من جهة أخرى، كما قال رينو، وقد انضم هؤلاء القراصنة إلى قراصنة النورمانديين وأخذوا من السواحل الجنوبية للبحر المتوسط منطلقا لهم. الامر الذي دفع للخلط بينهم وبين مجاهدي البحر المسلمين الذين ركبوا البحر لنشر الدين الاسلامي والجهاد في سبيل الله في البحر. ووجدنا من بين المستشرقين المنصفين أيضاً من يدفع عن المجاهدين البحريين المسلمين تهمة القرصنة وبين السبب في إلصاقها بهم، وفي هذا الصدد يقول بتيز نورمان ((قراصنة العرب عبارة خاطئة يجب أن تصحح وقد وقع فيها معظم الأوربيين عن قصد، وإصرارهم عليها لا يخلو من روح التعصب مع أن المعروف أن العرب لم يكونوا في يوم من الأيام قراصنة، وإنما كانوا مجاهدين في البحر وإنما الذي حدث هو أن القراصنة انتشروا في حوض البحر المتوسط الشرقي والغربي عقب اضمحلال الدولة الإسلامية وعجزها عن السيطرة على البحار منذ بداية القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)، وكانت جماعات القراصنة تتكون من جنسيات مختلفة فكانت منهم أعداد عظيمة من أهل إيطاليا والبلقان وجنوبي فرنسا والمغرب، وربما كان المغاربة أقل عدداً من غيرهم، ولكن البابوية عممت القرصنة على البحريين المسلمين عرباً أو مغاربة لكي تلتهب مشاعر السخط عليهم)) (انظر بتيز نورمان، الإمبراطورية البيزنطية، تعريب د. حسين مؤنس ومحمود يوسف، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٠م، ص٣٦٨).

القرصنة البحرية في العصر الحديث

تفاقمت ظاهرة القرصنة في اوربا في عصر الاستكشافات ودخل القراصنة كطرف مهم في الصراع بين الدول الاوربية التي كانت تتنازع على الاستحواذ على المستعمرات في الشرق وامريكا الشمالية وتتصارع من اجل السيطرة على طرق التجارة البحرية. وفي عصر الثورة الصناعية وما تلاه، لم يحول التقدم الحضاري الكبير في العالم، و وجود منظمات دولية ومحاكم وقوانين دولية، ووسائط رصد ومراقبة فائقة القدرة، وطيران سريع وأسلحة فعالة، من ظهور واستمرار أعمال القرصنة البحرية، حيث تفاقمت ظاهرة القرصنة البحرية هذه المرة في جنوب شرق آسيا، و قرب السواحل الإفريقية منذ بداية التسعينيات، فالقراصنة يجوبون البحار بحرية، وينهبون السفن المارة بقوة السلاح غالباً، ويضربون عرض الحائط بسيادة الدول والقوانين، والقانون الدولي للبحار لا يمنح صلاحيات كافية للسفن الحربية والجهات المختصة من أجل مقاومة القرصنة، وكذلك قوانين الدول التي تجري قرب سواحلها أعمال القرصنة. مما لا يقبل الجدل، أن القرصنة تعبر عن نفسها أوضح تعبير في آسيا، حيث يرتكب ثلثا أعمال القرصنة في أرخبيلات أندونيسيا وماليزيا والفلبين، وحتى مضايق مالاقا وسنغافورة، التي باتت تشكل المناطق الموبوءة الرئيسة بالقرصنة في العالم. ففي هذه البحار تعبث القرصنة فساداً، خدمةً للمافيات الصينية والأندونيسية، وثمة هجمات خطرة تحدث أيضاً جنوب شبه القارة الهندية، قرب السواحل الهندية وسواحل بنغلاديش وسريلانكا.

القرصنة في شط العرب

ما زال اسم شط العرب (SHATT AL ARAB) مصدرا من مصادر الخير والعطاء يروي مزارع النخيل بالمياه العذبة، وشريان ملاحي تمر منه السفن المتوجهة إلى موانئ البصرة، ونافذة يطل منها العراق على بحار الله الواسعة، و شط العرب يشكل أهمية قصوى ليس للاقتصاد العراقي وإنما للبيئة العراقية أيضا". وكثيرا ما يتعرض الصيادون العراقيون ودوريات خفر السواحل العراقية إلى مضايقات متعمدة من قبل البحرية وقوات خفر السواحل الإيرانيين خصوصا في نهر شط العرب (SHATT AL ARAB) الذي هو نهر ناتج من التقاء نهري دجلة و الفرات، حيث يلتقي النهران في مدينة (القرنة) العراقية ليمتد بطول ١٩٠ كم، حتى يصب في (الخليج العربي) عند طرف مدينة (الفاو) العراقية ويعتبر شط العرب منذ عام ٢٠٠٤ منفذا حيويا لعمليات تهريب المشتقات النفطية العراقية إلى الخارج دون أي محاولات جدية من قبل الحكومة العراقية أو قوات الاحتلال الأمريكي والبريطاني لوقف هذا الهدر والسرقة للثروة النفطية العراقية عبر شط العرب وكأن هذا النهر يقع خارج (الحدود العراقية الغامضة) !! وقد نشطت في الآونة الاخيرة أيضا" اعمال القرصنة قرب السواحل العراقية لاسيما في مياه شط العرب، حيث يتشكل القراصنة فيها من مجموعات من اللصوص والمهربين ذوي التسليح المحدود والذين يستغلون مرور السفن، وقد تجد أيضاً عصابات ارهابية منظمة، تتألف أحياناً من ذوي الخبرة في المجال البحري، ينتقون فرائسهم من بين المراكب التي تنقل بضائع قيمة الى الموانيء العراقية في البصرة وام قصر، وليست تلك المتجهة الى موانيء الدول المجاورة لاسباب مختلفة اهمها ضعف القدرة البحرية العراقية من حماية تجارتها البحرية وسواحلها بسبب الاحتلال الامريكي والبريطاني الذي لايهتم بملاحقة القراصنة او لصوص البحر لاسباب تتعلق بامن قطعاته البحرية واسباب سياسية اخرى.

اساليب القرصنة في شط العرب

تشير المعلومات المستقاة من سكان منطقة شط العرب ان اعمال القرصنة تحدث غالبا" في الليل حيث يتسلق القراصنة متن المراكب من أطرافها أو مؤخراتها، مستخدمين الكلابات أو العصي الطويلة البسيطة أحياناً، ولا يهمهم حجم المركب أو سرعته، ويستهدف القراصنة السطو على ناقلات النفط أو السفن التجارية وحتى سفن ومراكب الصيد. والقراصنة المتمرسين في أعمال سلب السفن التجارية يستغلون عموماً مناورات الملاحة أو تخفيف السرعة، أو انشغال أفراد الطاقم كله عند المضايق والممرات الضيقة أو في قاعة الآلات لتنفيذ غاراتهم. وقد يحدث أحياناً أن يتسلل بعض شركاء القراصنة إلى السفن وهي راسية في الميناء ويختبئون فيها، ثم يظهرون فجأة لمد يد العون "لزملائهم" القراصنة القادمين في زوارق سريعة. والمهاجمون على علم تام عموماً بهندسة السفن وطبيعتها وقيمة حمولاتها، الأمر الذي يؤكّد أنهم يتعاونون مع شركاء لهم في الموانيء التي جاءت منها السفن او التي تقصدها. ويمكننا اختصار الأساليب التي يتبعها القراصنة في المياه الاقليمية العراقية بما يلي:

١- السلب المسلح: وهي القرصنة باستخدام السلاح، وغالباً ما تُرتكب في الموانئ أو على مقربة من السواحل ضد الصيادين أو السفن التجارية المدنية المبحرة في المياه الاقليمية العراقية، وتنفذها مراكب قوية جداً يقودها مجرمون ولصوص مسلحون ويستهدفون عموماً السيولة النقديةوالممتلكات والسلع التجارية غالية الثمن، وهذا النوع من القرصنة هو الشائع.

٢- السرقة والاعتداء المسلّح: وهي الهجمات العنيفة والسرقات التي تسفر عن اصابات وسقوط قتلى، وتنفذها عصابات منظمة جيداً، وهي عادة مسلحة تسليحاً ثقيلاً، وتعمل لحساب منظمات ارهابية واجرامية محلية واقليمية مستفيدة عموماً من شركاء على البرّ متواطئين معها. وهذا الشكل من القرصنة يمثّل خطراً شديداً على الملاحة في المياه الاقليمية العراقية، ولا سيما عندما يتم تحييد الملاّحين وشلّ حركتهم أو حجزهم.

٣- الاختطاف والحجز : وهي الهجمات التي تستهدف الاختطاف، حيث يستولي القراصنة على المركب او السفينة مع حمولتها او ركابها، ثم يعمدون إلى طلب الفدية لاطلاقها او اعادتها. وهذه الهجمات تنفذها عصابات تتألف من رجال مدربين جيداً ومسلحين تسليحاً ثقيلاً، وعلى استعداد تام لاستخدام الأسلحة النارية و تكون عادة مخططة لها بدقة، وتحت تصرفها موارد هامة، وتحظى بحماية من بعض الجهات المتنفذة على الساحل.

الخاتمة

مما لاشك فيه ان ضمان امن المياه الاقليمية العراقية يتطلب القضاء على الخروقات اللاقانونية مثل التهريب والقرصنة ولهذا الغرض لابد من اصدار القوانين اللازمة لمكافحة تلك الممارسات الاجرامية الى جانب تامين الاليات التنفيذية مثل انشاء قوة خفر سواحل فعالة ومقتدرة وسلطات كمارك الى جانب امتلاك قوة بحرية قادرة على حماية حركة النقل البحري التجارية من والى الموانيء العراقية لغرض دعم الاقتصاد الوطني والتنمية في العراق التي يحتاجها العراق اليو اكثر من اي وقت مضى.